زبيد بصمة يمنية في سجل التراث العالمي !!

١٥٠ مصنعاً منول للحياكة منذ ١٣٥٥ هـ متواجد في مدينة زبيد

◁.. كلنا يدرك حجم المشكلات المادية والفنية والادارية التي واجهت وتواجه حاضرة الزمان مدينة زبيد، ذات التراث الثقافي المعماري والعمراني.. فكافة الجهات المحلية والدولية والاسلامية مسئولة عن الحفاظ على تراث مدينة زبيد كونها تراثاً يمنياً عربياً اسلامياً وإنسانياً.. فزبيد ليست بأمان الآن.. لهذا وجب تضافر كافة الجهود لتنفيذ مخطط الحفاظ والتطوير العمراني للمدينة والاستمرار في تنفيذ مخطط الحفاظ والتطوير العمراني للمدينة والاستمرار في تنفيذ المشاريع بواقعية أكبر واغتنام الفرصة الأخيرة لانقاذ هذه المدينة وتثبيتها ضمن قائمة التراث العالمي لتنال المكانة التي تستحقها كإحدى أجمل حواضر العالم التاريخية..

عام ٢٠٠٥م يعتبر الفرصة الأخيرة لانقاذ تراث المدينة العريقة وتضافر كافة الجهود الرسمية والشعبية والدولية لإنقاذ التراث الثقافي لمدينة زبيد..

متابعة/ نجلاء الشيباني

■ حياكة المعاوز

بعد أن أدرجت مدينة زبيد في قائمة التراث العالمي من قبل منظمة اليونسكو التابعة للأمم المتحدة عام ١٩٩٣م لأن العمارة والتراث ومخططها الحضري يجعلها معلماً ذا قيمة تاريخية بعدها تم إدراج زبيد ضمن قائمة التراث العالمي المعرض للخطر في ديسمبر ٢٠٠٠م بناءً على توصية لجنة التراث العالمي.. وهذا الأمر ينبئ باخراج زبيد من قائمة التراث العالمي.. ونظراً لهذه الأمور الهامة تقرر عقد مؤتمر في جامعة الحديدة كلية التربية مؤخراً في الفترة مابين ١٤-١٦ديسمبر ٢٠٠٤م بمشاركة علمية وعملية مدروسة لانقاذ مدينة زبيد..

فيما يؤكد الأخ/محمد صالح شملان- محافظ محافظة الحديدة: أنه لابد أن تولي الدولة اهتماماً كبيراً لهذه المدينة من خلال الخروج بنتائج ذات فائدة من هذه الورشة وتبني خطط مدروسة فيما يتعلق بالبنية التحتية والمحافظة على مايتعلق بالتراث العريق حالياً للمدينة..

منوهاً بأنه يتم حالياً إنشاء شبكة مجار للصرف الصحي لمدينة زبيد بداية لمشروع نظافة هذه المدينة وبعد الانتهاء من المشروع يتم رصف المدينة قائلاً: هناك مبادرات سبق وأن أعلنت بخصوص ترميم بعض المعالم والمساجد في الوقت الذي نحن في المجلس المحلي مستعدون للتعاون وتقديم تسهيلات في هذا الجانب اضافة الى مساعدة الذين لا يستطيعون ترميم أو إعادة تأهيل منازلهم بما يحافظ على الطابع المعماري لمدينة زبيد ولدينا استعداد لأن نولي هذا الجانب اهتماماً أكبر.. واهتمامنا في قيادة المحافظة والمجلس المحلي يعكس ذلك بالرعاية والمتابعة من فخامة الأخ رئيس الجمهورية الذي زار مدينة زبيد عدة مرات ووجّه الجهات المختصة ذات العلاقة سواءً في السلطة المحلية أو المركزية باعطاء مدينة زبيد حقها من الاهتمام والرعاية.. ويتوجه المحافظ بكلمة شكر للجهة المانحة التي تنفذ حالياً الصرف الصحي لمدينة زبيد بتمويل من الصندوق الألماني ومنظمة اليونسكو..

اتفاقيات

● ثلاثة أهداف رئيسية تسعى من خلالها الى تحقيق الأهمية لمدينة زبيد أولاً: التذكير بأهمية مدينة زبيد التاريخية حاضرة الزمان والتي كانت ذات يوم مركز إشعاع علمي ينير الجزيرة وماحولها وهي اليوم تعد تراثاً عمرانياً ومعمارياً متميزاً جعل منها مدينة مؤهلة لتكون في قائمة التراث العالمي عام ١٩٩٣م وبذلك أصبحت لاتهمنا فقط كتراث وطني بل تهم العالم أجمع كتراث إنساني الأمر الذي يحتم علينا جميعاً الحفاظ عليها، ولاشك أن هذا الحضور يعكس هذا التعاون والاهتمام النوعي على جميع المستويات المحلية والوطنية والدولية، هذا ما استهل به حديثه الدكتور/عبدالله زيد عيسى- رئيس الهيئة العامة للمحافظة على المدن التاريخية مسترسلاً: بأن الهدف التالي هو تقييم حالة الحفاظ على وضع مدينة زبيد التاريخية بما في ذلك الاستراتيجيات والجهود التي نسعى لتحقيقها مع ضرورة تحديد الايجابيات والسلبيات في عملية الحفاظ خلال الفترة الماضية، أما الهدف الثالث والأخير: هو الوصول الى توصيات واضحة ومحددة وعملية قابلة للتنفيذ مع تحديد الجهات المسئولة والدور المطلوب لكل منها..

موضحاً: بأن تتويج هذا اللقاء يتمثل في المتابعة والتنفيذ لما تم الوصول اليه والاجماع عليه كلٌ حسب سلطاته واختصاصاته..

وفي حديثه يشير الدكتور عبدالله الى ثلاث نقاط يعتبرها من وجهة نظره ايجابية وأعلن عنها في الندوة وبأنه تمت مراجعة قانون المدن والمعالم التاريخية من وزارة الشئون القانونية بعد تسليمها اليهم ومن وزارة الثقافة والسياحة بتعاون الأخ الوزير والذي بدوره سيرفعه الى مجلس الوزراء لإقراره والنقطة التالية أنه خلال الفترة القادمة سيتم تعميد المخطط العام لمدينة زبيد التاريخية ومنطقة الحمى وماحولها.

مع تحديد منطقة التوسع المستقبلي المسموح البناء فيه وذلك من قبل وزارة الأشغال العامة والطرق والهيئة العامة للمحافظة على المدن التاريخية.. وهذا المخطط يعتبر الأساس الضروري لإعداد مخطط للحفاظ على المدينة مستقبلاً.. والنقطة الثالثة: تم الاتفاق مع وزير الأشغال والطرق بخصوص الأعمدة الخرسانية التي تم إزالتها والتي سبق أن عملتها وتم الاتفاق معها على أن يقوموا باختيار مبنى تقليدي وترميمه وإعطاء نموذج طيب للجهات الحكومية عن كيفية عمل المكاتب في المدينة التاريخية..

مفردات للتطبيق

الخطط بمفردها لايمكن أن تعيد الحياة لأي مدينة أثرية، ولن يتم ترميم الجامع الأثري بطريقة سحرية فقط لمجرد وجود خطة، لهذا يجب أن تصاحب الخطة أهداف تنفيذية وآليات للتمكن من تنفيذ هذه الخطط.. والمسئولية تكمن في تحديد الأولويات والمشاريع التي يجب أن تطرح وكيفية تحديد الحصول على موارد لتطبيقها وتنفيذها على الواقع.

السيد/فرنسيسكو بندرين- مدير مركز التراث العالمي باليونسكو يشيد بهذا الأمر ويؤكد بأن: هنالك خطة فنية أخرى وهامة وهي إعادة استخدام مواد البناء والطرق التقليدية في البناء، وعودة أسلوب وأدوات العمارة التقليدية القديمة لمدينة زبيد قائلاً: عندما تتحدث عن التراث الثقافي في مدينة زبيد فإننا نعتمد في الأساس على معاهدة التراث الثقافي والتي تشكل الآلية الأساسية لعمل اليونسكو.. وأهمية هذه المعاهدة في الحفاظ على التراث الثقافي تكمن في نقطتين أولها أن المعاهدة وإعلان منطقة معينة تراثية أو إدراجها في منطقة التراث العالمي تأكيد لبقية العالم بأهمية هذا الموقع وأيضاً استخدام الاعلان لتوفير المعونة الفنية ومساعدة الحكومة سواءً مركزياً أو محلياً للحفاظ على هذا الموقع.

ويفيد بأن هناك جانباً اخر لدى اليونسكو توليه جل اهتمامها فلديه «٢٠٠» مدينة مسجلة في قائمة التراث العالمي لهذا يكون لديهم «٢٠٠» مشكلة ينظر اليها.. وفيما يتعلق بالمدن التاريخية فإنها عادة ماتشبه المغامرات الصعبة خاصة بأن هناك قوى خارجية وداخلية تؤدي الى النحول الداخلي والخارجي حول هذه المدن التاريخية وهذه القوى لاترتبط بالبيئة التي أدت الى وجودها في المقام الأول.. خاصة وأنها تأتي بعد إحداث تغييرات اقتصادية واجتماعية وسياسية، التي يجب أن تنتمي اليها.. فجهود الحماية لايمكن لها أن تتم إذا ما اعتمدنا على النظم التقليدية والأساليب التقليدية للحماية وإنما يجب أن تتحول الأساليب الى سياسة رسمية واستراتيجية للحماية يجب أن تتضافر بها ثلاث ركائز كما يوضحها السيد فرنسيسكو هي الإرادة السياسية والاقتصادية والثقافية والنقاط الثلاث لايمكن فصل بعضها عن بعض لضمان توفر حماية كاملة لأي مدينة تاريخية وخاصة مدينة زبيد.

مناقشة قضية زبيد

ويضيف في كلمته بأن كل مدينة لها خصوصيتها وواقعيتها فلايمكننا أن نأتي بمفردات غير قابلة للتطبيق ويجب أن ننظر للواقع الحاصل الآن في مدينة زبيد من موروث شعبي ولجنة فنية كلها مسميات ويجب علينا أن نأتي بحلول واقعية قابلة للتطبيق لإنقاذ المدينة فنجاح الحكم المشترك هو العلاقة الجيدة مع المجتمعات المحلية التي سيؤدي الى بلورة أي مجهود وبالتالي تكون النتائج مفيدة.. وخطة الحماية تعتبر أداة، بالتالي تعتبر بحاجة الى أساليب تطبيق هذه الاستراتيجية بشكل واضح وسيؤدي هذا الأمر الى نجاحها مصرحاً بأن دور اليونسكو ينحصر في «مد» يد العون للحكومة ومساعدتها في عملية الحفاظ على مدينة زبيد من خلال تحقيق التوازن المطلوب بين ثلاث نقاط أساسية.. السياسية والاقتصادية والثقافية.. وكما في كل عام لجنة التراث العالمي سوف تعقد اجتماعاً في العام القادم في جنوب أفريقيا في شهر يوليو وسوف تنظر في قضايا كثيرة لها علاقة بالتراث العالمي من ضمنها قضية مدينة زبيد ومراجعة ماتم توقيعه من توصيات وتقارير بورشة العمل.. وهذا الالتزام كما يقول يعتبر حقيقي من الحكومة اليمنية حول الحماية والحفاظ على مدينة زبيد.. ويدعو الى التعاون المستمر بين الجانبين.

دراسات وأبحاث

● في المؤتمر تم عرض دراسة مقدمة من قبل وزارة الأشغال العامة والطرق تحت عنوان «مدينة زبيد التاريخية» حوت الوضع الراهن لمدينة زبيد ومميزات وعيوب المخطط العام السابق للمدينة وتصنيف للمباني والملكيات والمشكلات التخطيطية التي تتعرض وتعرضت لها مدينة زبيد..

فيما قدم المعماري/عبدالحكيم قاسم السياغي- مدير عام العلاقات العامة منسق الندوة مقترح لتنظيم الجهود من خلال محاور ثلاثة ، المحور الإداري القانوني يتضمن إقرار مخطط الحفاظ والتطوير العمراني للمدينة والاسراع في انزال مخطط تطويري لها وكذا الاسراع في اقرار قانون المحافظة على المدن التاريخية واصدار قرار بتشكيل الوحدة الفنية والبدء ببرامج التأهيل للكوادر الفنية في مجال الحفاظ على التراث العمراني والاستمرار في حملة التوعية ومحور الاجراءات والخطوات التنفيذية.. وذلك باستكمال الدراسات التفصيلية للمخالفات وتنفيذ حملة إزالة الأسوار والبناء الخفيف المخالف والعمل الجاد على ايقاف أي مخالفة.

محور المشاريع يتضمن استكمال مشروع شبكة الصرف الصحي والترميم والبدء في مشروع رصف الشوارع وانارتها والاسراع في تشغيل محراق الياجور التابع للهيئة استكمال الدراسة الخاصة بأحياء السوق في مدينة زبيد....

وهنالك دراسة قدمت من الأستاذة/أمة الرزاق جحاف للتنمية حول الحرف التقليدية والأزياء التقليدية وكيفية الحفاظ عليها من الاندثار وقد حاولت هذه الدراسة الاطلالة على التاريخ الحرفي لمدينة زبيد وهي المدينة التي تميزت بخصوصية معمارية..

وقد تضمنت الدراسة بذكر أهم الحرف والصناعات التي اشتهرت بها مدينة زبيد منذ القرن الخامس الهجري «١٣٥٥هـ» بوجود «١٥٠» مصنعاً منول للحياكة ومنتجاً للقماش المحشي بالحرير والقطن والفوط والمآزر وغيرها.. وحرفة الحضاية وهي حرف ارتبطت بالمنسوجات وحرفة الصياغة وحرفة الصناعات الخشبية وحرفة الخوص وصناعة الفخار ومعاصر السمسم وبذور القطن وصناعة الصابون والشموع وقد تحدثت بصورة تفصيلية عن التراث الملبسي لمدينة زبيد وهو مايتعلق بخيوط الحرير وأسلاك الفضة حيث ركزت المناقشات والأبحاث والدراسات المقدمة في الندوة على قيمة وأهمية تراث مدينة زبيد التاريخية وتراثها الثقافي بالاضافة الى تناول وضعها في قائمة التراث العالمي والحالة الراهنة للمدينة.. والجهود الوطنية والعربية والدولية لانقاذ مدينة زبيد وإبعادها عن الخطر...!

قرارات وتوصيات

خرجت الندوة بعدد من التوصيات التي تم وضعها كخلاصة لهذا العمل وهي عبارة عن استخلاص لما تم تقديمه وطرحه من جميع المشاركين من باحثين يمنيين وأجانب ومعهم ممثلي المجتمع المحلي لمدينة زبيد التاريخية وبعد مناقشة الملاحظات والتوصيات المقدمة من المشاركين ويتضمن التوصيات الجانب الاداري تشكيل لجنة عليا للمحافظة على مدينة زبيد التاريخية مماثلة للجنة العليا للمحافظة على مدينة صنعاء القديمة وبشكل عاجل والاعلان عن حملة وطنية لانقاذ مدينة زبيد التاريخية ويقترح أن يكون العام ٢٠٠٦م عام هذه المدينة وكذا اصدار قانون الحفاظ على المدن التاريخية من قبل الجهات المعنية وباسرع وقت ممكن والاسراع في إنشاء وحدة فنية مستقلة يمكن تسميتها ببيت التراث وهي وحدة فنية مستقلة مالياً وإدارياً وبدعم مالي لمدة سنتين أو ثلاث سنوات مهمتها تطبيق قوانين الحفاظ على المدن التاريخية و تقديم المعونة الفنية لسكان المدينة وإعداد وتنفيذ خطة عمل لانقاذ المدينة وتقييم سير التنفيذ ومدى التقدم في عملية التنفيذ وتعزيز الوعي لدى الجهات المعنية مثل منظمة التراث العالمي والتنسيق بين الجهات ذات العلاقة وتفعيل دورها وكذا مطالبة وزارة الإدارة المحلية والمحافظة بتفعيل وتقوية دور مدينة زبيد إدارياً ودعم مخصصاتها حتى تستطيع القيام بالدور المطلوب وتفعيل دور الأمن والنيابة في ضبط وايقاف أي بناء أو ترميم في المدينة مالم يكن حاصلاً على ترخيص من لجنة الحفاظ على مدينة زبيد وأخيراً منع اصدار أي تراخيص بناء من مكتب الأشغال سواءً داخل المدينة أو في منطقة حمى المدينة والمحددة في المخطط العمراني لمدينة زبيد الجديد الذي تم تقديمه وشرحه في هذه الندوة بواسطة الفريق الفني في قطاع التطوير الحضري بوزارة الأشغال العامة والطرق..

استكمال المخططات

الجانب التخطيطي الذي يشمل متابعة وزارة الأشغال العامة والطرق قطاع التطوير الحضري للاسراع بتعميد المخطط العمراني للمدينة تم تقديمه وأستعراضه في الندوة ودعيت الوزارة الى سرعة انزال المخططات التفصيلية للمناطق المقترحة خارج المدينة وعلى الهيئة العامة للمحافظة على المدن التاريخية متابعة مركز التراث العالمي لتمويل إعداد مخطط الحفاظ على مدينة زبيد التاريخية والاهتمام بالمناطق المجاورة للمدينة وسرعة استكمال المخططات اللازمة للسوق وجامع الأشاعر باعتبارها مركز المدينة مع بحث تمويل لذلك من خلال مركز التراث العالمي والصندوق الاجتماعي للتنمية نظراً للحالة المتردية التي يعاني منها السوق والجامع، سرعة اصدار اللوائح التنفيذية والارشادية للمخطط العمراني.. الجانب التنفيذي ويحتوي على الخطة الطارئة للحفاظ على النسيج العمراني والمعماري لمدينة زبيد يتم سرعة البحث عن تمويل للبدء في تنفيذ السوق لانعاش الوضع الاقتصادي لسكان المدينة، إزالة كل المخالفات، سرعة استكمال مشاريع شبكة الصرف الصحي وتصريف مياه الامطار، مطالبة الصندوق الاجتماعي للتنمية لعمل دراسة لانتاج المواد التقليدية بطرق تحقيق توفيرها وبكلفة أقل وخاصة مادة الياجور ومطالبة الجهات الحكومية والدولية لدعم جهود الترميم والتأهيل للمنازل أسوة بما يتم عمله في مدينة شبام حضرموت مع الأخذ بعين الاعتبار خصوصية مدينة زبيد من الناحية الاقتصادية ودعوة الهيئة العامة للسياحة لتبني خطط لمشاريع سياحية لتوفير الخدمات اللازمة في مدينة زبيد بأسلوب يتلاءم مع وضع المدينة التاريخي مع عمل دليل سياحي للمدينة ومعالمها التاريخية، وعمل خطة لاعادة تأهيل جامع الأشاعر والأربطة والمدارس التقليدية المنتشرة داخل المدينة لاحياء وتفعيل دورها العلمي مطالبة شركات القطاع الخاص الصناعية المساهمة في دعم الصناعات والحرف التقليدية في مدينة زبيد والمساعدة على تسويقها وفي إطار برنامج التأهيل يتم تأهيل كادر متخصص لاعداد وثائق مشاريع وأساليب البحث عن تمويل وتأهيل كوادر في ادارة التخطيط للحفاظ على المدن التاريخية وتأهيل معلمي البناء التقليدي وأصحاب الحرف اليدوية ومن ناحية الجانب المالي يتم إنشاء صندوق لحماية مدينة زبيد مع اعتماد مبلغ أولي يتناسب مع حجم المشكلة ويقترح مبلغ أربعمائة مليون ريال يستخدم في التعويضات واصلاح وتأهيل وازالة الأعمال المخالفة والدعم للمباني القديمة الآيلة للسقوط وسيتم ترميمها..

وأخيراً ضرورة تفعيل وإبراز الدور الاعلامي الرسمي للتراث الحضاري لمدينة زبيد مع التوعية للمحافظة عليه بشكل مستمر..

■ قلعة الناصر زبيد

■ صناعة الفخار

اعادة تأهيل جامع الأشاعر والأربطة والمدارس التقليدية

القطاع الخاص مطالب بدعم الصناعات والحرف التقليدية وتسويقها

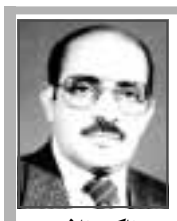

أشواق

عبدالكريم الخميسي

الجمع.. رحمة..

● حكمة صنعانية قديمة كانت ومازالت تتردد على كل لسان.. ولاسيما في المناسبات التي لها علاقة بالجوانب الاقتصادية.. فمثلاً حين يكون الطعام القليل كافياً لعدد كبير من الضيوف يقال: الجمع رحمة، وحيث «يتجمع» الناس لحل مشكلة عويصة.. يقال: الجمع رحمة..!!

● فإذا خرجت القمة الثالثة «لتجمع صنعاء» بنتائج مثمرة سنردد الحكمة نفسها ونقول: الجمع رحمة.. وإذا اسفرت عن قرارات تاريخية بفتح الباب للمزيد من الأعضاء، سنردد نفس الحكمة ونقول: الجمع رحمة.

● والمطلوب من هذا «التجمع» أن لا يتحدث عن أي انجاز إلا بعد تحقيقه، ولا يخطو أية خطوة إلا بعد دراستها وتمحيصها، والمطلوب منه أن يركز على التكامل الاقتصادي والتجارة البينية، ولا خوف عليه من تراكم «الكثافة السكانية» فالجمع رحمة وليس نقمة.. وما يكفي الواحد يكفي الاثنين ويد الله مع الجماعة.

● والمطلوب ايضاً من تجمع صنعاء أن ينشأ على الثقة المتبادلة والمصالح المشتركة، ويحرص على أن تنال الشعوب ثمار هذا «التجمع» في معيشتها وفي أمنها، وفي استقرارها، فالرهان على الشعوب هو الرهان الرابح.

● وأجمل ما في هذا «التجمع» أنه يمد يده، لكل دول المنطقة بما فيها دول مجلس التعاون الخليجي، لأنه لا يضمر شراً لأحد، ولا يشكل تهديداً لأحد، فإذا استمر على هذا المنوال فسوف يقدم دليلاً جديداً على أن: الجمع رحمة.

ص . ب (٤٨٤١)
alkhmisy@hotmail.com

تأملات

محمد العريقي

حرفي منزلي

● بدأ ولعه بإصلاح الآلات والمعدات الكهربائية المنزلية وعمره لايزيد عن ١٢ عاما، ليس هذا وحسب .. بل كان أكثر الأبناء نشاطاً ومبادرة لترميم أي تلف في المنزل .. وشديد النظام في حفظ الأسلاك والمسامير وأدوات التركيب والفك في صندوق خاص .. تكون جاهزة عند الطلب، فأطلق عليه (حرفي المنزل).

● وأشد مايزعجه هو أن يجد أية قطعة مرمية خارج ذلك الصندوق .. وكان ذلك يسبب له إزعاجاً مع باقي أهل البيت المعتادين على ترك القطع بعد استخدامها في أماكن وزوايا مختلفة من المنزل .. فيصعب الحصول عليها عند الحاجة.

● عندما أكمل الشاب تعليمه الثانوي بمعدل يزيد عن ٨٥٪ أصر أن يلتحق بمركز التدريب المهني .. فقال له والده: معدلك يؤهلك لكلية علمية كبيرة .. فلماذا تضيّع كل هذا الجهد بهذا الاختيار المتواضع؟

● فرد الشاب: اختياري للدراسة في المركز المهني ليس متواضعاً، بل اختيار استراتيجي .. وستشاهد (حرفي المنزل) .. كيف سيكسب رزقه؟!

● هذا الشاب وجد في هوايته الأولى ورغبته الطموحة في إصلاح الآلات والأجهزة الالكترونية أكبر دافع للالتحاق بالمركز المهني .. فعقد موهبته بالخبرة والدراسة التطبيقية والنظرية وقد برز ذلك الشاب في دراسته إلى درجة كان يستعين به المدرسون في بعض الأمور.

● عندما تخرج طلب من والده فقط سلف إيجار شهرين لمحل استأجره وبدأ فيه نشاطه في إصلاح ما يأتيه من أجهزة الكترونية .. فاشتغل وأتقن عمله.

وعندما التقيت والده بعد فترة .. سألته عن ولده الذي تخرج من إحدى الجامعات الخارجية المتخصص بالنفط. قال لي لايزال يبحث عن وظيفة قلت له .. الله يعينك على زيادة الأعباء والانفاق

● قال لي: «البركة في (الحرفي)».

– قلت له: من هو الحرفي؟

● قال: خريج المركز المهني .. الذي أصبح الداعم والمساعد لخريج الجامعة .. وكل أهل البيت.

– قلت له: كثّر الله من أمثاله.

alariky@maktoob.com